العشر الأواخر

تفرغ للعبادة

لا يجتمع اغتنام ليالي العشر مع الصفق بالأسواق، فلماذا لا نبادر بشراء حاجات العيد وغيره قبل دخول العشر العظيمة؟!

كالتي نقضت غزلها

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢]

والمعنى: كامرأة غزلت ثوباً وخاطته، فلما تمّ نقضته خيطاً خيطاً. ومِثلها تلك التي اجتهدت عشرين يوماً من رمضان، فلما حانت العشر الأخيرة -وهي السوق الأكبر للأعمال الصالحة- تركته، وانشغلت بالأسواق.

تقول عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»[1].

---

(١) رواه مسلم (١١٧٥).

أسوة حسنة

اجتهد عليه الصلاة والسلام فأحيا ليله، وأيقظ أهله، وتورمت قدماه، وبكى حتى بلَّ لحيته وموضع سجوده، واجتهد معه الصحابة ﷺ فأطالوا الصلاة حتى خشوا فوات السحور، وصلوا بعده حتى كانوا يعتمدون على العصيّ من طول القيام.

ويطعمون الطعام

طبخ الطعام وإرساله إلى المساجد فيه أجر عظيم، خصوصاً وأنها تحوي في هذه الليالي الشريفة من عباد الله المعتكفين والمصلين الذين يحصل الشرف بخدمتهم، وإذا كان فضل إطعام الطعام كبيراً، فكيف إذا كان إفطاراً أو سحوراً؟! وكيف إذا كان من يأكله أهل الطاعة والعبادة؟!

ولأصحاب الأعذار نصيب

قد يصيب الشيطان الحائض والنفساء بالإحباط، فيصرفهما إلى الانهماك في زينة البيت والصفق بالأسواق، والحقيقة أن هنالك عبادات كثيرة يمكنهما القيام بها مثل:

- التفكر في آيات الله وآلائه، وفي عيوب النفس لإصلاحها.
- ذكر الله بالقلب واللسان، والدعاء.

- تلاوة القرآن دون مسّ المصحف.
- الاستسلام لقدر الله فيما كتبه عليها.
- رعاية أولاد المعتمرات.
- البذل والإحسان، وإطعام الطعام، وخدمة الصائمين، وتَأَمُّل حديث «**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**»[1].

من حِكَمِ إخفاء ليلة القدر

من حِكَم إخفاء ليلة القدر وتنقلها بين ليالي العشر -على الصحيح-: أن يجتهد العبد تمام الاجتهاد في كل ليلة راجيا أن تكون هي ليلة القدر، فيتحقق له قوة التعبد، وصدق الدعاء في كل الليالي؛ لتكون عوناً له على بقية عامه.

من بركات ليلة القدر

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] من بركاتها:

- العمل فيها أفضل من عمل ألف شهر [٨٣ سنة و٤ أشهر].
- فيها نزل القرآن.
- كثرة نزول الملائكة بالخير والرحمة.
- من قامها «إيمانا» بالله وبما أعده من ثواب لأهلها و«احتسابا» للأجر غفر له ما تقدم من ذنبه.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

- يرجى فيها إجابة الدعاء؛ ولهذا أوصى رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها أن تقول فيها: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»[١].

الاجتهاد ليلاً ونهاراً

من مظاهر التقصير في العشر ما يفعله بعض الناس من الاجتهاد في الطاعة ليلا، والكسل والفتور نهاراً، ومنهم من يتجاوز ذلك فينام عن صلاة الظهر والعصر.

قال ابن رجب: قال الشعبي في ليلة القدر «ليلها كنهارها»[٢].

وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر ليله ونهاره.

صلاة الليل في العشر الأواخر

كثير من المساجد تقسم صلاة الليل في العشر الأخير إلى قسمين.

- والمشروع الحرص على كلتا الصلاتين، ومن شق عليه الجمع فصلاة آخر الليل أفضل.
- إذا خشي ألا يستيقظ، فلا ينام حتى ينهي صلاته ويوتر.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥١٣) وابن ماجة (٣٨٥٠) وصححه الألباني.

(٢) لطائف المعارف (ص٢٢٨).

- لا بأس أن يصلي الأولى في مسجد، والثانية في مسجد آخر.
- إذا أنهى الصلاة في مسجد وأراد أن يزيد في مسجد آخر يتأخر عنه فلا بأس دون أن يعيد الوتر.
- الأفضل أن يكمل قيام الليل مع الإمام الذي بدأ معه؛ لتكتب له قيام ليلة، وفي المسجد الواحد يكون الأئمة المتعاونون كالإمام الواحد. ولا حرج أن يكمل الصلاة في مسجد آخر، ولاسيما لمصلحة شرعية.

من انشغل أو كسل، أو كان لا يستطيع أن يقوم مع الإمام القيام الثاني: فلا يترك بقية الصلاة، وإنما يصليها بعد القيام الأول وحده أو جماعة مع بعض أهله، ويجتهد في تطويلها ويوتر ولا يفوِّت الأجر والغنيمة.

من علامات ليلة القدر

ليلة القدر بَلْجَة -مشرقة- مُنيرة، طَلقة لا حارة ولا باردة، لا يُرمى فيها بنجم ولا شهاب، تطلع الشمس في صبيحتها بيضاء لا شعاع لها، أخفاها الله عنا لنجتهد في تحريها.

ويبتعد المسلم عن المجازفات بإرسال تلك الرسائل التي تعينها بغير دليل؛ لما فيها من تثبيط عن الاجتهاد بقية الشهر، فَلْنواصل العبادة والدعاء؛ فإنها ليلة تقسم فيها الأرزاق والآجال.

تعيين ليلة القدر

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافاً كثيراً، وتحصّل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من أربعين قولا، كما وقع لنا نظير ذلك في ساعة الجمعة، وقد اشتركتا في إخفاء كل منهما ليقع الجد في طلبهما»[١].

وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: «الراجح عند أهل العلم: أن ليلة القدر تنتقل تارة تكون في ليلة إحدى وعشرين، وتارة تكون في ليلة ثلاث وعشرين، وفي ليلة خمس وعشرين، وفي ليلة سبع وعشرين، وفي ليلة تسع وعشرين، وفي الأشفاع قد تكون»[٢].

أرجى ليلة

وأرجى الليالي لليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين، وكان ﷺ يجمع أهله ونساءه والناس فيها فيقوم بهم حتى السحر[٣].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «قمنا مع النبي ﷺ في رمضان ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل الأول، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، ثم قمنا

---

(١) فتح الباري (٤/ ٢٦٢).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٣/ ٤٥٤).

(٣) رواه أبو داود (١٣٧٥) والترمذي (٨٠٦) وصححه الألباني.

معه ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح - يعني السحور»[١].

هل يعتمر ليلة السابع والعشرين؟

ليلة السابع والعشرين من رمضان من الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر، ولكن لا دليل على تخصيصها بالعمرة، وإنما الفضل في إحيائها بالقيام؛ لحديث: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٢]، **ولم يقل: من اعتمر، ولحديث: «عمرة في رمضان تعدل حجة»**[٣]، ولم يقل: عمرة في ليلة السابع والعشرين تعدل حجة[٤].

التمسوها آخر ليلة

إذا انتهت ليلة سبع وعشرين فإن رمضان لم ينته بعد، وليلة التاسع والعشرين ليلة عظيمة، وربما كانت آخر ليلة من رمضان، وقال ﷺ: «**التمسوا ليلة القدر آخر ليلة**»[٥]، وحديث مغفرة الذنوب على قيام رمضان يقتضي إكماله

---

(١) رواه النسائي (١٦٠٦) وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) فتاوى ابن عثيمين (٥/ ٢٦٣).

(٥) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢١٨٩) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٨).

إلى آخر ليلة، فاستعن بالله على ذكره وشكره وحسن عبادته.

الأعمال بالخواتيم

إن الخيل إذا قاربت نهاية السباق أخرجت أحسن ما عندها، ومن أحسن فيما بقي غفر الله له ما مضى، والعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية، اللهم أعد علينا رمضان بعافية وإيمان.

وإن حضرت ختم القرآن

قد يتساهل بعض الناس في القيام بعد ختم القرآن مع الإمام، وحديث «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» يقتضي استيعاب ليالي الشهر بالقيام، فيفوت المتساهل الفضل الوارد أو ينقص منه، فليس المقصود من الصلاة هو ختم القرآن، وإنما إحياء ليالي الشهر بالعبادة، وقد تكون آخر ليلة من رمضان التي يُتساهل فيها بترك القيام بعد ختم القرآن مع الإمام هي ليلة القدر.

لا ينقص أجرهما

يُشكل على بعض الناس قوله ﷺ: «**شهرا عيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة**»[1]

---

(١) متفق عليه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

وقد قيل في معناه: لا ينقصان جميعاً في سنة واحدة غالباً.

لكن الأصح أن معناه: لا ينقص أجرهما والثواب المرتب عليهما؛ وإن نقص عددهما.

ولذلك فإن من نذر اعتكاف العشر الأواخر من رمضان فلم يكتمل الشهر فقد أدى ما عليه، رغم أنه لم يعتكف غير تسعة أيام.